



المقدمة



تعدّ شخصية الفيصل الكاشاني من الشخصيات التي قلّ نظيرها، والتي لم يُسلط عليها الضوء مباشرة في الدراسات الفلسفية والكلامية، لا سيّما في الأوساط الجامعية العراقية، باستثناء بعض الإشارات الواردة هنا أو هناك. وقد كرس الفيصل الكاشاني حياته للعلم، وتعلّمه، وتعليمه، لا سيّما أنّ أستاذه هو أحد كبار فطاحل العلماء والمؤسسين لمدرسة الحكمة المتعالية. وساهم ذلك مساهمةً ملحوظةً في صقل شخصية الكاشاني وتهذيبها على عدّة أصعدة، لا سيّما في الفلسفة والكلام. وأرى من واجبي الأخلاقي والعلمي، منطلقاً من دافع البحث، أن أساهم في إيضاح معالم هذه الشخصية التي كان لها الدور البارز في بناء المنظومات الفكرية التي أثّرت في الساحة المعرفية الإسلامية.

إنّ شخصية الفيصل الكاشاني لم تكن في مرحلة من مراحل التاريخ ذات بعد واضح المعالم بسبب تعدد مبغضيه وحاسديه الذين حاولوا طمس شخصيّته وإلغاء هويّته. وهذا الأمر دفعني بصفتي باحثاً لأن أشمّر عن ساعدي لازيج عنه بعض المohoمات التي أُلصقت به من هنا وهناك.

لقد خدم الفيض الكاشاني الساحة المعرفية التي هي إلى الآن محطّ أنظار الباحثين والدارسين في أنحاء متعددة من العالم ممّن لهم اهتمام بالجوانب المعرفية التي تحدّث عنها في جملة مؤلفاته.

إنّ الموضوع الذي قمت بدراسته هو حلقة مهمّة من حلقات دراسة تاريخ الفلسفة الإسلامية لمرحلة ما بعد ابن رشد؛ أي مدرسة الشيرازي وفلسفتها، وهي المدرسة التي أثّرت في الساحة المعرفية من خلال العديد من الموضوعات التي ساعدت على فهم الفلسفة ولو على نحو الإجمال.

والموضوع الذي اخترته أساساً لبحثي يتناول شخصيةً إسلاميةً عريقةً لم تقدر حقّ قدرها في تاريخ الفلسفة الإسلامية، خاصةً وأنّها امتداد معرفيٌ لمدرسة الحكمة المتعالية. وأرى أنّ هذه الشخصية كانت عنصراً فاعلاً على امتداد مسارين معرفيين مهمّين، أحدهما الجانب الفلسفـي والآخر الجانب الكلامي. لذا، عمدت إلى متابعة كتب أصحابها، ورسائله، ونصوصه التي خطّها، والتي كشفت عن البعدين الفلسفـي والكلامي عندـه.

لقد اتّخذت من دراستي هذه مشروعًا يرمي إلى البحث في الجوانب المهمّة في تلك النصوص، ومدى تأثّرها بالسابقين عليه، وتأثيرها على المتأخّرين عنه، وملاحظة أهمّ البحوث والمنشورات التي جاءت على ذكره وذكر آثاره.

وفضلاً عن اعتمادي على بعض النصوص غير المترجمة عن اللغة الفارسـية، فإنّني اتّخذت من طريقة التحليل والتفسير أساساً مهمّا في فهم النصوص التي جاء بها. كما وجدت أنّ الفيض الكاشاني اعتمد على المنهج الشرعي والعلقيّ، ما دعاني إلى



اعتماد ما اعتمد هو في فهم النصوص.



والهدف من البحث هو محاولة جديدة لاكتشاف عناصر القوّة في الأبعاد التي درسها الفيصل الكاشاني؛ أي البعدين الفلسفـيـ والكلامـيـ. ويتضـمـنـ الـبـحـثـ مـقـدـمـةـ وـتـمـهـيـداـ وـأـرـبـعـةـ فـصـولـ وـخـاتـمـةـ،ـ وقد أوردتـ فيـ المـقـدـمـةـ وـالـتـمـهـيدـ نـمـوذـجـاـ مـصـغـرـاـ عـنـ الرـسـالـةـ.

أمـاـ الفـصـلـ الـأـوـلـ،ـ فقدـ قـسـمـتـ إـلـىـ ثـلـاثـةـ مـبـاحـثـ،ـ وـعـنـونـتـهـ «ـسـيـرـةـ الـفـيـصـ الـكـاشـانـيـ وـآـثـارـهـ الـعـلـمـيـةـ».ـ وـتـنـاوـلـتـ فـيـ الـمـبـحـثـ الـأـوـلـ عـصـرـ الـفـيـصـ الـكـاشـانـيـ،ـ وـجـوـانـبـ مـنـ ثـقـافـتـهـ،ـ وـحـيـاتـهـ،ـ وـأـسـرـتـهـ.ـ أمـاـ الـمـبـحـثـ الـثـانـيـ،ـ فقدـ تـنـاوـلـتـ فـيـهـ سـيـرـةـ الـفـيـصـ الـكـاشـانـيـ الـعـلـمـيـةـ.ـ وـأـمـاـ فـيـ الـمـبـحـثـ الـثـالـثـ،ـ فقدـ تـنـاوـلـتـ آـثـارـ الـفـيـصـ الـكـاشـانـيـ مـنـ مـؤـلـفـاتـ وـرـسـائـلـ،ـ وـقـدـ لـاقـيـتـ صـعـوبـةـ فـيـ الـفـصـلـ الـأـوـلـ مـنـ حـيـثـ قـلـلـةـ مـؤـلـفـاتـ الـفـيـصـ الـكـاشـانـيـ،ـ ماـ اـضـطـرـيـ إـلـىـ السـفـرـ إـلـىـ خـارـجـ الـعـرـاقـ لـمـرـيـينـ مـتـالـيـيـنـ لـلـبـحـثـ عـنـ الـمـصـادـرـ فـيـ الـمـكـانـ الـذـيـ كـانـ يـسـكـنـ فـيـ الـفـيـصـ الـكـاشـانـيـ.ـ وـمـنـ جـهـةـ أـخـرىـ،ـ فقدـ تـحـمـلـتـ عـنـاءـ السـفـرـ لـلـذـهـابـ إـلـىـ مـرـقـدـ الـفـيـصـ الـكـاشـانـيـ لـلـتـحـقـقـ مـنـ صـحـةـ كـونـ قـبـرهـ هـنـاكـ.

أمـاـ الفـصـلـ الثـانـيـ،ـ فقدـ ذـكـرـتـ فـيـهـ تـمـهـيـداـ بـيـنـتـ فـيـهـ مـصـادرـ ثـقـافـةـ الـفـيـصـ الـكـاشـانـيـ مـنـ جـانـبـ مـخـلـفـ،ـ إذـ اـسـتـفـادـ مـنـ الـثـقـافـاتـ الـأـخـرىـ فـاسـتـمـدـ ثـقـافـتـهـ مـنـهـاـ،ـ لـاـ سـيـمـاـ الـفـلـسـفـةـ الـيـونـاـئـيـةـ وـأـعـلامـهـ (ـسـقـراـطـ،ـ أـفـلاـطـونـ،ـ أـرـسـطـوـ،ـ وـغـيرـهـ).ـ وـقـدـ قـسـمـتـ الـفـصـلـ الثـانـيـ إـلـىـ مـبـحـثـيـنـ،ـ الـأـوـلـ تـحـدـثـتـ فـيـهـ عـنـ مـفـهـومـيـ الـوـجـودـ وـالـمـاهـيـةـ،ـ وـمـوـقـفـ الـفـيـصـ الـكـاشـانـيـ مـنـهـمـاـ،ـ وـسـعـيـتـ لـلـإـجـابـةـ عـنـ السـؤـالـ:ـ «ـمـنـ هـوـ الـأـصـيلـ الـوـجـودـ أـمـ الـمـاهـيـةـ؟ـ»ـ كـمـاـ تـنـاوـلـتـ فـيـ هـذـاـ الـمـبـحـثـ



مفهومي العلّة والمعلول والحركة الجوهرية عند الفيض الكاشاني.

المبحث الثاني، فقد تناولت فيه موضوع نظرية المعرفة، وهو موضوع أخذ حيّزاً كبيراً لدى الفيض الكاشاني، لا سيّما في مسألة العقل والشرع، إذ إنّه يرى أنّ مثل هذه المعرفة هي التي توصل الإنسان إلى اليقينيات. كما تناولت أقسام العقل الذي جعله على قسمين: العقل النظري والعقل العملي، ثمّ بيّنت موقف الفيض الكاشاني من علاقة العقل والشرع من نظرية المعرفة، وقد ذكرت موقف الفيض الكاشاني من الحدس والعرفان وعلاقتهما بنظرية المعرفة.

أمّا الفصل الثالث، فكان قائماً على مباحثين، تناولت في أولهما الأخلاق عند الفيض الكاشاني، مبيّناً موقفه من طبيعة الأخلاق والسبيل إلى تهذيبها. وأمّا في ثانيهما، فتناولت الجمال والعرفان عنده، مقسّماً الجمال إلى قسمين: الجمال الحسّي والجمال الإلهي. كما تطرّقت إلى آرائه العرفانية وأثر مدرسة الحكماء المتعالية فيها. ثمّ إنّني وضعت هذه المفاهيم الثلاثة - الأخلاق، والجمال، والعرفان - في فصل واحد لأنّ هذه الموضوعات تبحث في القيمة وتتدخل في ما بينها لتحول من فكر الفيض الكاشاني نسيجاً متاماً.

وقد قسمت الفصل الرابع إلى خمسة مباحث بحسب أصول الدين الخمسة كما هي عند الإمامية، فتناولت في المبحث الأول مراتب التوحيد وأقسامه التي هي التوحيد في الذات، والتوحيد في الصفات، والتوحيد في الأفعال. وتناولت في المبحث الثاني الأصل الثاني، وهو العدل، وما يرتبط به من البداء والجبر والتفويض



وغيرها. أمّا في المبحث الثالث، فتناولت الأصل الثالث وهو النبوة، ثم الإمامية في المبحث الرابع، والمعاد في المبحث الخامس.

وفي الختام، أشكر الباري (سبحانه وتعالى) على تمكينه إياي من إتمام بحثي هذا، وأسأله أن يتقبل مني هذا النذر اليسيير خدمةً للعلم، والفلسفة، والإنسان.

والله ولي التوفيق.

علي الكناني
العراق - بغداد